... لمّا جِئْتَها سَجَدَتْ...

من أكرمه الله تعالىٰ فزار المدينة المنورة ، وزار فيها جبل أُحد ، رأىٰ أمراً عجباً!.

إنه جبلٌ عاديٌّ ، مكوّن من حجارة وصخور وأتربة ، لا شجر حوله ولا مناظر جميلة ولا ورود ولا أزهاراً.

لكن ومع ذلك يُنقل إلينا أن الرسول ﷺ كان بينه وبين جبل أحدٍ غزلٌ.. ومحبّة.. وتبادل شعور رائع!!.

عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلىٰ غزوة تبوك ـ إلىٰ أن قال ـ: فقال رسول الله: «إني مُسرعٌ فمن شاء منكم فليُسرع معي ، ومن شاء فليمكث».

قال: فخرجنا حتىٰ أشرفنا علىٰ المدينة ، فأشار الرسول صلوات الله عليه إلىٰ الجيش أن قفوا ، ثم قال: «هذه طابة ـ وفي رواية: هذه طيبة ـ ، وهذا أُحد ، وهو جبلٌ يحبّنا ونحبّه»[1].

ومثله مسألة سلام الحجر علىٰ النبيّ ﷺ: وقد حدث ذلك قبل البعثة ، وكذلك بعدها ، فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرفُ حجراً بمكة كان يُسلّم عليّ قبل أن أُبعث ، إني لأعرفه الآن»[2].

ومثله رواية عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال: كنّا مع النبيّ ﷺ

---

(١) صحيح مسلم: (١١).

(٢) صحيح مسلم: (٢).

بمكة ، فخرجنا معه في بعض نواحيها ، فمررنا بين الجبال والشجر ، فلم نمرّ بشجرةٍ ولا جبلٍ ، إلاّ قال: السلام عليك يا رسول الله ، وأنا أسمعه[1].

أجل يا رسول الله!

لقد أحبّك حتىٰ الجمادات: جبل أحد سلّم عليك ، والجذع حنّ إليك ، والشجر جاء يسعىٰ إليك ، والمدينة كلها أضاءت يوم دخولك ، والشاة المسمومة تكلمت بين يديك ، والحصىٰ والطعام سبّح بين يديك ، فصلوات الله عليك ، والعجيب أن بعض البشر لم يقفوا ولو مرةً مع دعوتك ولم يستجيبوا لك!!.

ومنطق الذئب بالتصديق معجزةٌ ... مع الذّراع ونُطق العير والجملِ
وفي دعائك بالأشجار حين أتت ... تمشي بأمرك في أغصانها الذّلُلِ
وقلتَ عودي فعادتْ في منابتها ... تلك العروق بإذن الله لم تملِ
والسَّرحُ بالشام لمّا جئتها سجدت ... شُمُّ الذّوائب من أفنانها الخُضُلِ
والجذعُ حنَّ لأنْ فارقته أسفاً ... حنين ثكلىٰ شجَتْها لوعة الثّكلِ

* * *

(١) سنن الترمذي: (٣٦٢٦) ، المستدرك: ٢/ ٦٢٠.